

اللغة العربية في ظل القرآن

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

القاهرة

ولهذا السبب يضعه علماء اللغة في مقدمة المصادر التي يتم بها توثيق العربية ..

ومن الحقائق التي لا تقبل نقاشا .. ان القرآن .. هو النص ما نطق بالعربية .. وكانت فصاحته ، على نهج ممجز ، لكل نصحاء العرب في عصر تالفت ملكة البيان فيه على اكمل صورها .. لدى قوم لم يعرفوا من صنائع الدنيا سوى صنعة البيان .. ولم يبرعوا في فنون الحياة براعتهم في قول الشعر ، والنثر ..

وقد حفظ القرآن الكريم مصادا من الاستعمالات .. التي لم تعد اليوم جارية في الاسلوب العري .. مثل :

- « ان هذان لساهران » ..
- « قال رب ارجعون » ..
- « والارض مرشناها » ..
- « فقد صفت قلوبكما » ..

وكل هذه الاستعمالات وامثالها .. كان يستشهد بها في كتب اللغة والنحو ، على صحة ما يقبلها من الكلام العري ..

قال المستشرق الالماني بروكلمان :

ورد علينا من حضرة الاستاذ الكبير الشيخ احمد عبد الرحيم السايح بحث قيم في الموضوع اعلاه نقنيس منه ما يلي :

نزل القرآن الكريم باللغة العربية فجعلها اكثر رسوخا واغوى استقرارا ، وادق تصويرا ، لما يتبع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول في النفس ..

ويجانب هذا امدها بطاقة .. جعلتها اوسع اتقا ، وابعد مدى ، واقدر على النهوض ببقعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الاتساقية ..

واستطاعت اللغة العربية في ظل القرآن الكريم .. ان تتسع لتعيط بلبعد انطلاقات الفكر ، وترتفع حتى تصمد ارقى اختلاجات النفس ..

فالقرآن الكريم .. فضلا عن كونه ، قد احدث تغييرا جذريا في التفكير العري .. شمل جميع مناهي الحياة ..

تقد كان سجلا لكل ظواهر اللغة العربية .. سجلا لم يطرا عليه انشئ تغيير ، او تبديل .. رغم مواصل العصور والزمن .. وما نعرف كتابا .. ضمن الخلود للغة في الدنيا .. كما منح القرآن الخلود للغة العربية ..

« بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية هي وحدها : اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم . . . وبهذا - اكتسبت العربية ، منذ زمان طويل ، مكانة رفيعة ، فالتقت جميع اللغات الأخرى التي تنطق بها ثمصوب إسلامية » .

وقال الدكتور جورج سارطون :

« وهب الله اللغة العربية - مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي أحسن تدوين - بجميع دقائق معانيه ولغاته - وأن تعبر عنه بمبارات عليها طلاوة ونبها متانة. وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد - إلا أن هذا كله لم يمنع من نشوء لهجات متمسدة للتخاطب العادي وخصوصاً حينما أصبح أبناء الأمم المختلفة يتكلمون العربية - ولكن القرآن الكريم - جعل من اللغة العربية وسيلة دولية للتعبير عن أسس متخفيات الحياة » .

ولقد كان القرآن الكريم في ذاته ثورة لغوية - نقلت اللغة من مرحلة اللهجات المختلفة - إلى مرحلة المجتمع المنحصر المرتبط بلغة واحدة ومن مرحلة التعبير الشخصي - إلى التعبير الموضوعي -

فاستطاعت العربية - أن تعبر في آيات القرآن من معاني التشريع ومعاني السياسة ، والاقتصاد ، والحرب ، والتاريخ ، والفلك - وعلوم الاجتماع ،

والنفس... وهي فنون لم تمهد لها العربية من قبل . وهذه آية واحدة من سورة الانعام تمثل ناحية من النواحي الكثيرة للعلوم الكونية والتي عبرت عنها العربية في القرآن الكريم . (الآية 99) .

ولقد أجمع الباحثون على أن القرآن الكريم - كان ولا يزال من أهم الحصون التي حمت اللغة العربية من الضياع ولا شك أن القرآن قد أوجد علومها كثيرة - منها ما يتعلق باللغة نفسها - كعلم النحو ، والصرف ، والبيان ، والمعاني ، والبديع ، ومنها ما يتعلق بالدين - كعلم التفسير - وعلم الفقه وعلم الأصول - وعلم الحديث - إلى غير ذلك من العلوم الإسلامية الكثيرة - والتي نتجت عن القرآن الكريم -

وفي ظل رسالة القرآن الكريم جاء بثروة عظيمة من المفردات الجديدة - التي استعيرت من اللغات الأخرى ، والتي اشتقت من أصل اللغة - لتساير الحركة الإسلامية الكبيرة - والتي نحتت ، وصقلت ، وربما ابتكرت ، لتعبر عن المجال الحيوي الجديد - الذي دفع إليه القرآن -

ولا يفوتنا أن نذكر - أن الشعر ، والأمثال ، والقصص قد أدت دوراً بارزاً في حفظ اللغة وتقويتها... إلا أن جميع الدراسات اللغوية أثبتت في قوة - أن سبب نشأة العربية ونموها ، واتساعها ، وشمولها ، وتطورها ، وتطورها ، وقبولها للتعريب - هو القرآن الكريم -